



الأربعاء 13 يوليو 2022 08:38 م
محمد عبد الرحمن صادق

إن المسلم الموصول بربه تراه دائماً حريصاً على أن يكون سليم العقيدة، صحيح العبادة، متين الخلق، نافعاً لغيره، مُجاهداً لنفسه، كما تراه حريصاً على حسن تربية من يعول ليقينه أنه سيُسأل عنهم بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

إننا نعلم يقيناً أن أمر التربية ليس بالسهل ولا بالهين لكوننا نتعامل مع كائن بشري له مشاعر وميول ورغبات ونزعات ونزوات وشهوات وتطلعات، وتنازعه نفس تميل إلى الراحة والدعة وتنفر من التكليف، وتحتاج إلى ترويض لتنقاد للأمر وتنفذه.

إن كل ما سبق يجعل الآباء أكثر حاجة إلى الاطلاع على تجارب الآخرين للاستفادة من خبراتهم، كما يجعلهم يتوقون إلى نصائح المختصين التي توفر عليهم جهد التجربة، وقبل ذلك كله فإن رأس الأمر وعموده في هذا الجانب هو كثرة اللجوء إلى الله تعالى والإلحاح عليه سبحانه وطلب التوفيق منه سبحانه في تربية من نعول.

من هنا، آثرت أن أضع رءوس أقلام وأسس يضعها الآباء نصب أعينهم ولا يخطئونها، ثم يقومون بالبناء عليها والنسج على منوالها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

1- علموا أهليكم وذويكم أن الخلاص كل الخلاص يكون في اتباع ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ دون إفراط ولا تفريط ولا ابتداع.

- أعينوهم على ذلك بتحقيق القدوة العملية من أنفسهم، وبغرس الإخلاص والمراقبة في قلوبهم، وبحسن اختيار الصحبة الصالحة التي تعينهم على ذلك.

- حدّثوهم عن أن الإسلام هو دين الفطرة، وأن شريعة الإسلام هي الشريعة الوسطى، وأنها ليس فيها تفريط اليهود ولا إفراط النصارى، وأنها تهدف إلى إيجاد شخصية متوازنة في كل جوانب العبادة وفي كل مجالات الحياة.

2- علموهم أن لله تعالى عليهم حقوقاً، ولأنفسهم عليهم حقوقاً، وللعباد عليهم حقوقاً، وأن الله تعالى افترض على عباده أن يؤدوا لكل ذي حق حقه.

- علموهم مبادئ العقيدة، ومبادئ التوحيد.

- اغرسوا فيهم أخلاق المؤمنين وصفات المتقين.

- علموهم كيف يرتفوا بأنفسهم إيمانياً وأخلاقياً وسلوكياً.

- ربوهم على احترام حقوق الغير وعدم التعدي عليهم ولا اقتحام خصوصياتهم.

3- حدّثوهم عن عظمة الإسلام وتاريخ الإسلام وعن عظمة الصحابة والتابعين والقادة على مر الزمان.

- أعينهم على ذلك بحب الاقتداء بالنبي ﷺ في كل الأحوال قولاً وعملاً، وبمعرفة سيرته ﷺ وسيرة صحابته الكرام رضوان الله عليهم.

- حدّثوهم عن أمجاد المسلمين في مجالات الحياة المختلفة ليجبوا التشبه بهم، وأخبروهم بأنهم أمناء على كل جهد بُذل من أجل الإسلام، وأن المطلوب منهم هو أن يكونوا حلقة قوية متينة في سلسلة العظماء.

4- علموهم أن الأخذ بالأسباب في كل صغيرة وكبيرة سنة من سنن ديننا الحنيف، وأنه حين يستنفذ العباد الأخذ بأسباب الأرض تتدخل أسباب السماء.

- عزّوهم بأن النبي ﷺ بالرغم من كونه نبياً مرسلاً لم يُقصر في الأخذ بالأسباب يوماً ما، وأن صحابته الكرام والتابعين ساروا على نهجه واقتفوا أثره فدانت لهم الدنيا وكانوا لها سادة في كل ميادين ومجالات الحياة.

- وأخبروهم أن المطلوب ممّا هو أن يجتهد كل ممّا في مجاله، مُخلصاً نبيّه وتوجهه لله تعالى وحده، وألا يترك شيئاً شرعياً إلا أخذ به.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: "فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد -أي إلى الأسباب وحدها دون التوجه والإنابة إلى رب الأسباب-، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلى الله سبحانه وتعالى، والله يقدر له من الأسباب من دعاء الخلق وغيرهم ما شاء" اهـ.

5- علموهم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس نافلة ولا تفضلاً من أحد، بل أمر من الله تعالى واجب اتباعه.

- أخبروهم أن الله تعالى جعل خيرية أمة الإسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- وأخبروهم أن هناك من العلماء من قالوا "لو كان للإسلام ركناً سادساً لكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وذلك لأهميته ومكانته وعظيم أجره.

- وأخبروهم أن الله تعالى ما ترك فئة إلا وخاطبها أمراً إياها أن تقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لا تتصل فئة من المسؤولية، وحتى لا تظن فئة أنها غير معنية بالأمر.

- وأكّدوا عليهم ألا يدلوا العباد على الله ثم ينسوا أنفسهم فيضلوا ضلالاً بعيداً.

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومن لم يكن في قلبه بُغض ما يبغضه الله ورسوله من المنكر الذي حرّمه من الكفر والفسوق والعصيان، لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه، فإن لم يكن مُبغضاً لشيء من المُحرّمات أصلاً لم يكن معه إيمان أصلاً" اهـ.

6- علموهم أن لله جنوداً لا يعلمها إلا هو، ينزلها على من يشاء متى شاء وكيف شاء.

- حدّثوهم عن نداء إبراهيم للناس بالحج، ونار قوم إبراهيم، وفداء إسماعيل.

- وحدّثوهم عن سفينة نوح، وقصة يوسف، ونجاة يونس، وغرق فرعون.

- وحدّثوهم عن الطير الأبايل.

- وحدّثوهم عن الأسد الذي رآه عدو الله أبو جهل فاغراً فاه يريد أن يلتهمه عندما أراد أبو جهل أن يطاء رأس النبي ﷺ بقدمه وهو يصلي عند الكعبة.

جاء في التفسير الكبير: "ما روي أن أبا جهل لما قال: إن رأيتَه يُصلّي لأطأن عنقه، فأنزل الله هذه السورة، وأمره جبريل عليه السلام بأن يقرأ على أبي جهل ويخر له ساجداً في آخرها ففعل، فعدا إليه أبو جهل ليطاء عنقه، فلما دنا منه نكص على عقبيه راجعاً، فقيل له ما لك؟ قال: إن بيني وبينه فحلاً فاغراً فاه لو مشيت إليه لالتقمني، وقيل: كان جبريل وميكائيل عليهما السلام على كتفيه في صورة الأسد" اهـ.

- وحدّثوهم عن فرس سُراقة بن مالك وما حدث له عندما أراد سُراقة أن يلحق بالنبي ﷺ لبيسمة لقريش وبنال الجائزة التي تم رصدها لذلك.

- وحدّثوهم عن نداء الفاروق عمر رضي الله عنه وهو يخاطب على المنبر، حيث نادى على قائد جيش المسلمين ببلاد فارس "سارية بن زعيم الدؤلي" قائلاً "يا سارية الجبل، الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم"، مما أثار دهشة الحضور من الصحابة رضي الله عنهم.

وعندما قدم سارية إلى المدينة قال: "يا أمير المؤمنين، تكاثر العدو على جنود المسلمين وأصبحنا في خطر عظيم،

فسمعت صوتاً ينادي: "يا سارية الجبل، الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم". عندئذ التجأت باصحابي إلى سفح جبل واتخذت ذروته درءاً لنا يحمي مؤخرة الجيش، وواجهنا الفرس من جهة واحدة، فما كانت إلا ساعة حتى فتح الله علينا وانتصرنا عليهم".

7- علموهم أن قدر الله تعالى غالب لا محالة وأنه سبحانه لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه سبحانه إذا أراد أمراً هياً له أسبابه وأزال عواقبه وأنّمه.

- حدّثوهم عن طغيان وجبروت الأمم السابقة وأن قوتهم لم تغني عنهم من الله شيئاً.

قال تعالى: "فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذْنَا الصَّيْحَةَ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَطْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {40}" (العنكبوت: 40).

- وحدّثوهم عن فرعون وهامان وقارون، وعن صنديد قريش الذين ألغوا في القلب يوم بدر، وعن القياصرة والأكاسرة والأباطرة والجبابرة والملوك والرؤساء .. الخ.

8- علموهم أن الله تعالى لا يخذل من وقف ببابه، ولا من أحسن الظن به، وأنه سبحانه يستحيي أن يرد يداً امتدت له بالسؤال صغراً.

- علّموهم أنه عندما تحيط بالعبد الكروب والخطوب، وتوصد في وجهه جميع الأبواب والدروب، وتنقطع به كل السبل والأسباب، يبقى باب واحد لا يعلو، وسبب واحد لا يخذل صاحبه، وحبل واحد لا ينقطع، وهو باب السماء وحبل الالتجاء إلى الله بالدعاء.

- أخبروهم عن حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار فانطبق عليهم، وعرفوهم أنه لولا إخلاص عملهم وصدق لجوئهم إلى ربهم ما نجوا مما كانوا فيه من كرب عظيم!

9- علّموهم أن يُحسِنوا الغرس في الدنيا ليطيب لهم الحصاد بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

- ربّوهم على الخشية والمراقبة، وأخبروهم أن الله تعالى يقول: "إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآتَارَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ" (يس: 12)، لكي يحرسوا على أن يغرّسوا معروفاً ويتركوا أثراً طيباً في كل مكان يذهبون إليه.

- وربّوهم على قوله تعالى "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {7} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {8}" (الزلزلة: 7-8).

- وأخبروهم أن من يُحسِن الغرس يستبشر بقاء ربه، وتكون نفسه مطمئنة لوعده الله، ويستبشر خيراً بما ينتظره من النعيم في الجنة إن شاء الله تعالى.

10- علموهم أن الدنيا ليست دار مُستقر وأن الآخرة خير وأبقى.

- وربّوهم على أن الدنيا ما هي إلا قنطرة للآخرة، وأن المسلم يجعل ما يمتلكه من الدنيا في يده وليس في قلبه، حتى إذا طلب منه أو ابتلي بفقدانه لا يغتم ولا يجذع، ليقينه أن عوض الله يجبر كل كسر ويعوّض كل فقد، وأن ما عند الله خير وأبقى.

اللهم ألهمنا رشدنا وتقبل سعينا وخذ بنواصينا إليك أهد الكرام عليك نحن وأهلينا وذوينا وكل من لهم فضل علينا.

المصدر: بصائر